ممارسات الاتصال التراثي في خلق بدائل اقتصادية للتنمية السياحية للمواقع التراثية بالجزائر. دراسة حالة كلاً من قصبة بجاية وقصبة الجزائر العاصمة.

فاتح معيوف[1] * ، إسماعيل بن دبيلي[2]

[1] جامعة بجاية (الجزائر)، fateh.mayouf@univ-bejaia.dz

[2] جامعة بجاية (الجزائر)، ismail.bendebili@univ-bejaia.dz

ملخص:

لا شك أن الاهتمام بموضوع التراث المعماري والعمراني، هو واحداً من بين البدائل الاقتصادية التي تعول عليها الجزائر في خلق الثروة، والمدرجة ضمن استراتيجياتها التنموية في مجال صناعة السياحة، ويعد الاتصال أحد الفواعل الرئيسية للمساهمة الفعالة في التنمية المستدامة للموارد التراثية المعمارية، أو ما يصطلح عليه مفاهيمياً بالاتصال التراثي. وانطلاقاً من هذا الأخير، فإننا نهدف من خلال هذه الورقة إلى دراسة الممارسات الاتصالية للفاعلين التراثيين لكل من قصبتي بجاية والجزائر العاصمة، وكيفية مساهماتهم في جعل الموقعين الأثريين موردين سياحيين سيساهمان في التنمية السياحية للمواقع الأثرية. حيث تم توظيف المنهج المقارن لفهم مدى فاعلية الاتصال لدى كلاً من الفاعلين التراثيين بولايتي الجزائر العاصمة وبجاية، إذ سمح لنا، إمبريقيا بالقيام بمجموعة من المقابلات العلمية مع فاعلين تم اختيارهم ضمن عينة تمثيلية وفق ما يخدم أهداف البحث، من مديريتي الثقافة والسياحة، لكلا بالولايتين، وتجدّر الإشارة إلى أن هذه الدراسة تتبنى مقاربة JEAN Davallon التي تهتم بتثمين التراث والمؤهلات السياحية لاستغلالها سياحياً واقتصادياً.

كلمات مفتاحية: اتصال تراثي؛ تراث معماري عمراني؛ تنمية سياحية مستدامة، تراث؛ ممارسات اتصالية.

* المؤلف المرسل.

1- مقدمة

لقد أصبح الاهتمام بموضوع التراث في الفترة الأخيرة عاليا بنسبة كبيرة جدا، لما له من قيمة مادية و معنوية، وعلى جميع المجالات؛ بما فيها التاريخية، الثقافية، الاجتماعية... إلخ. فالتاريخية هي التي يعبَّر من خلالها عن فترة زمنية محددة، و منطقة وحضارة معينة، أما الثقافية وهي التي تبرز فيها الخصوصيات التراثية لكل منطقة أو حضارة. ومن بين أبرز أنواع التراث وأكثرها انتشارا، نجد التراث العمراني والمعماري، الذي يعبر عن مجموعة الشواهد والآثار المادية كالقصور والقلاع والمدن التاريخية،،،إلخ، التي تظهر طبيعة العمران والحياة الانسانية في تلك المنطقة أو الحضارة، وهذا ما يفرض دائما وجوب إدراجه ضمن أجندة إهتمامات الدولة من خلال التعريف به، تثمينه والحفاظ عليه ، ومن ثم استغلاله في المساهمة في مجال السياحة.

ثم إن الاهتمام بموضوع التراث العمراني والمعماري يفرض بالضرورة إيلاء أهمية بالغة بمكونات السياحة المرتبطة بهذه المواقع التراثية، والتي يطلق عليها مسمى "السياحية التراثية"، وذلك من خلال توفير كافة العوامل أو الوسائل، وكل ما يتعلق بها، سواء علاقة مباشرة أو غير مباشرة. وتعد السياحة التراثية، وبالخصوص سياحة المواقع الأثرية ، من الأنواع السياحية الأكثر شيوعا والتي تستقطب أكبر عدد من السياح، وهذا ما يجعلها من بين أهم مصادر التنمية السياحية والاقتصادية التي تعول عليها الأمم في النهوض باقتصاداتها، لما تساهم به من خيارات ومداخيل بديلة للدخل القومي.

ويعتبر الاتصال التراثي من بين أهم الوسائل التي تعتمد عليها السياحة التراثية في تحقيق أهدافها السياحية والاقتصادية، بحيث يلعب الاتصال التراثي مجموعة من الأدوار التي تشمل التعريف والترويج والتثمين للمواقع التراثية، من خلال مجموعة الوسائل والتقنيات، ومن خلال الممارسات التي تضمن اتصالا فعالا يحقق أهداف تساهم في تحقيق التنمية السياحية والاقتصادية.

ومما سبق تأتي مشكلة الدراسة في التساؤل الرئيسي التالي: **ما هي ممارسات الاتصال التراثي في خلق بدائل اقتصادية للتنمية السياحية من خلال سياحة المواقع التراثية بالجزائر؟**

2- مفاهيم الدراسة:

2-1- الخلفية النظرية للموضوع: (المقاربة):

المقاربة الاتصالية لـ: JEAN Davallon هي مقاربة تهتم بالتراث والمواد السياحية واستغلالها في الجانب السياحي، حيث تقوم على ثلاث عمليات هي: اتصال، عرض واستغلال للتراث أو الموارد السياحية. (Davallon, 2006)

كما تعتبر أيضا مقاربة JEAN Davallon كافية في مجال السياحة التراثية لشرح أسس الاتصال السياحي وخدمة أهدافه الرئيسية المتمثلة في تحسين صورة المنتج أو الخدمة السياحية وزيادة عدد الزوار إلى الوجهة.(bendebili & merah, 2016)

2-2- المواقع التراثية: وتمثل مجموعة المباني التي ترتبط ببيئة تتميز على محيطها أو ما صنعه الإنسان في فترة زمنية معينة. (قلاب ذبيح، 2017)

2-3- السياحة التراثية: يعرفها الصندوق الأمريكي لصون التراث التاريخي على أنها: "تجربة سفر إلى أماكن، والأنشطة التي تمثل أصالة قصص الناس والحاضر التي تشمل التاريخ والثقافة والموارد الطبيعية..." (بلعياشي و سمعون، 2021)

ويعرفها (كبار، 2023) بأنها أحد فروع السياحة الثقافية، يقوم بها السائح من أجل المعرفة بالتراث على اختلاف أنواعه.

2-4- الاتصال التراثي: هو نوع من أنواع الاتصال يهتم بموضوع التراث وتثمينه واستغلاله سياحيا واقتصاديا. (Davallon, 2006)

2-5- تعريف إجرائي لتثمين التراث: هو عملية أو إجراء تقوم بها الجهة الوصية على التراث، من أجل الرفع من قيمة التراث أو الحفاظ عليه، وذلك بغية استغلاله سياحيا واقتصاديا.

2-6- التنمية السياحية: هي اشباع رغبات واحتياجات السياح من خلال توفير الخدمات والتسهيلات، وكذا توسيع وتطوير الخدمات السياحية من أجل الاستغلال الأمثل للمقومات السياحية، مما ينعكس بالإيجاب على الجوانب الاقتصادية والاجتماعية. (بعوط و بوعزيز، جوان 2021)

هي مجموع الخطط، البرامج والاستراتيجيات التي تهدف إلى استغلال السياحة والمقومات السياحية، من أجل خلق وجهة سياحية واستغلالها في الجذب السياحي وبالتالي المساهمة خلق بديل اقتصادي. (كورتل و كحيلة، 2013)

2-7- قصبة بجاية: تقع قصبة بجاية على موقع استراتيجي مطل على الميناء، محاط بجدار يعود تاريخه إلى العصر الحمادي من الجهتين الجنوبية والشرقية، أما بالنسبة للجدار الذي يفصل القصبة عن المدينة فيعود تاريخه إلى الاحتلال الإسباني، وتتابعت محطات بناء قصبة بجاية عبر عدة مراحل،

المصدر: https://archiqoo.com/locations/kasbah_bejaia_ar.php

إلى أن وصلت إلى ماهي عليه وذلك في فترة الاحتلال الفرنسي (1833-1962). (بليلة، 2009)،

صنفت قصبة بجاية كتراث وطني حسب الجريدة الرسمية رقم:07 الصادرة بتاريخ: 1968/01/23.

المصدر: صورة ملتقطة من طرف المؤلف

2-8- قصبة الجزائر العاصمة: تعتبر قصبة الجزائر من أكبر وأهم المواقع التاريخية في

الجزائر، سواء من البنايات التي تشملها أو الزخارف والأشكال التي تجملها، أو الأحداث

المصدر: https://whc.unesco.org/fr/documents/111122

السياسية والاقتصادية والعسكرية التي ارتبطت بها.

تم بناء قصبة مدينة الجزائر حسب التأريخ عبر عدة مراحل، آخرها مرحلة حكم الدايات (1817-1830)، وهذه الفترة هي التي تركز عليها وزارة الثقافة في عملية الترميم لمدينة القصبة لأنها تعتبر من أهم فترات عمر القصبة. (خلاصي، 2007)

المصدر : https://whc.unesco.org/fr/documents/

3- مراجعة الأدبيات السابقة للموضوع:

من خلال البحث الببليوغرافي المتعلق بموضوع الدراسة، وجدنا أن مجموعة من الباحثين حاولوا التعرض إلى موضوع التنمية السياحية المرتبط بسياحة المواقع الأثرية، فنجد أن (حازم، ديسمبر 2018) حاول الوصول إلى الدور الذي يقوم به الإعلام السياحي في التنمية

المستدامة في الجزائر، وقد توصلت هذه الدراسة إلى أن الدور يكمن في تكوين صورة ذهنية للسياحة في الجزائر وكذا مجموعة الأدوار الأخرى كالتعريف، والتسويق للمنتجات السياحية على اختلاف أنواعها. أما دراسة: (صبيحي، 2019)، فقد تطرقت إلى محاولة الوصول إلى معرفة مدى تحقيق التنمية السياحية المستدامة في ظل التطور والعولمة السياحية. حيث خلصت هذه الدراسة إلى أنه وبالرغم من التراجع الذي شهدته السياحة في مصر في الآونة الأخيرة إلا أن التنمية السياحية استطاعت من خلال العولمة السياحية أن تواكب التطور السريع الحاصل في العالم من خلال الاستفادة من الخبرات الأجنبية في هذا المجال، كما ذكر الباحث بوجود ضعف في البنى التحتية سواء التكنولوجية أو المؤسسات.

وفي دراسة: (بعوط و بوعزيز، جوان 2021)، فقد ركز الباحث على الدور الذي تلعبه المواقع السياحية في المساهمة في التنمية السياحية المستدامة، وقد اختار المسرح الروماني لولاية قالمة كحالة دراسة، ومن خلال هذه الدراسة فقد وصل إلى أن سياحة المواقع التراثية عامة في ولاية قالمة هي سياحة موسمية لا يمكن أن تساهم في تحقيق التنمية السياحية المستدامة بهذه الوتيرة وهذا التخطيط، وأنه وجب على المسؤولين الاهتمام بهذا المجال ووضعه ضمن أجندة المصادر المهمة في تحقيق مصادر إضافية للاقتصاد.

معظم هاته الدراسات مست التراث والسياحة والتنمية السياحية، لكنها لم تتطرق لموضوع الاتصال التراثي الذي يختص بتثمين التراث والموارد السياحية. لذلك اعتمدنا على هذه الفجوة العلمية في بناء الإشكالية العامة لدراستنا.

4- عرض وتحليل معطيات الدراسة الميدانية:

تم فرز نتائج الدراسة الميدانية بالاعتماد على محاور المقاربة النظرية الاتصالية لـ JEAN DAVALLON وهي: اتصال، عرض واستغلال القصبة.

4-1- إتصال القصبة:

من خلال مجموعة المقابلات الميدانية، وبعد جمع وتحليل النتائج ، تم التوصل إلى أن الاهتمام بالمواقع الأثرية التراثية موجود، ويفرض نفسه بصفة إجبارية، لما له من أهمية للدولة واهتمام من طرف السياح، إلا أن الاتصال التراثي الخاص بالقصبة فهو غير موجود بشكل مستقل، وإنما هو دائما ضمن مجموعة نشاطات اتصالية أو مناسباتية.

وأيضا في مجال الاتصال والترويج، غالبا ما يعتمد على ما تقوم به مجموعة الشركاء الاجتماعيين في المناسبات والأعياد الوطنية والدينية، وكذا المواسم، كموسم الصيف والربيع...

كما تم التوصل إلى أن قصبة الجزائر العاصمة تحظى باهتمام كبير من جانب الإدارات العمومية الوصية في مجال الترويج والاتصال، على عكس قصبة بجاية، والتي تكاد تكون منعدمة، وخصوصا من جانب مديرية السياحة، ولكن يمكن تبرير ذلك بحالة الغلق التي تشهدها القصبة منذ عدة سنوات مع اعتبار ذلك في إطار الحفاظ والحماية للتراث.

2-4- عرض القصبة:

جدول (01) يمثل الوسائل والآليات المعتمدة في عرض القصبة:

الوسائل	قصبة بجاية	قصبة الجزائر العاصمة
مديرية السياحة	الاعتماد فقط على المناسبات والاعياد الوطنية في الترويج للتراث. عدم الاعتماد على التقنية في الترويج والعرض للتراث.	وجود أيام القصبة يتم من خلالها التعريف بتراث القصبة وكل ما يتعلق بها. وجود برنامج بشكل دوري يشمل تراث القصبة بكافة

	عدم وجود الوسائل المادية اللازمة لعملية الترويج للسياحة التراثية. لا توجد صفحة خاصة بالمديرية من خلالها يتم عرض نشاطات المديرية في كافة المواقع والوسائط.	أنواعه بما فيه التراث العمراني. هناك موقع المديرية وأيضا تطبيق من انتاج موظف الإعلام الآلي في المديرية للتعريف وعرض المواقع السياحية في الولاية.
مديرية الثقافة	وجود مجموعة من النشاطات الثقافية التي تهدف إلى عرض تراث القصبة.التنسيق مع الشركاء الاجتماعيين من أجل تقديم مجموعة النشاطات التي تشمل القصبة.	دائما هناك برنامج يكون ضمن أو مستقل للتعريف والترويج لتراث القصبة. وهذا البرنامج تقريبا يشمل كافة المناسبات الوطنية وحتى من خلال التظاهرات الدولية. كمثال اجتماع الدول المصدرة للبترول.
ONAT	تنظيم رحلات ولكن بصفة شحيحة وحسب الطلب، أي ليست خاضعة لتخطيط.	دائما هناك برامج خاصة بسياحة القصبة وكل المواقع الأثرية التي تشملها.

جدول01: عرض القصبة من خلال مجموعة الإدارات التي لها علاقة مباشرة بها

كما تم الوصول إلى أنه ومن خلال عرض القصبة فإن نسبة الاستجابة تكون جيدة من خلال التحفيز والتوصية بالزيارة من قبل السياح يكون موجود، وعلى هذا الأساس فإنه كلما زادت عروض الترويج للقصبة زادت نسبة الاستجابة وبالتالي زادت نسبة نجاح التوجيه السياحي لوجهة القصبة. هذا طبعا يخص قصبة الجزائر العاصمة، لأن قصبة بجاية وكما أسلف الذكر لا تتوفر على اتصال وذلك لحالة الغلق التي تطالها من أجل الصيانة، وبالتالي لا يمكن عرضها والترويج لها كوجهة سياحية وإنما يكون في إطار التعريف بها كتراث هام متواجد بمدينة بجاية.

4-3- استغلال القصبة:

من خلال هذا نحاول الفهم والوصول إلى مدى وطبيعة استغلال سياحة المواقع التراثية- وبالتحديد سياحة القصبة-سياحيا واقتصاديا، وقد كانت النتائج جد متباينة بين الولايتين.

	قصبة بجاية	قصبة الجزائر العاصمة
غرض الترويج للقصبة	غير مادي	غير مادي
وجود مشاريع سياحية	لا توجد	وجود ولكن بدخل ضئيل
مساهمة سياحة القصبة في التنمية السياحية والاقتصادية	لا توجد اطلاقا	وجود بعض النشاطات من خلال ما يقدمة بعض السكان، أو المتاحف لكنها تعتبر قليلة.

جدول02: يبين استغلال سياحة القصبة سياحيا واقتصاديا

من خلال معطيات المقابلات الخاصة بعامل الاستغلال، وجدنا أن السياحة التراثية التي تشمل المواقع الأثرية، وبالتحديد قصبتي بجاية والجزائر العاصمة هي سياحة موسمية أو

سياحة مناسباتية، وعن استغلالها فلا وجود لأي نوع من الاستغلال المادي، وأيضا لا وجود لأي مشاريع استثمارية سواء داخل الموقعين أو بمحيط الموقعين، عدا بعض النشاطات الفردية من قبل بعض العائلات في موقع قصبة الجزائر العاصمة، أو مداخيل متاحفها الضئيلة. وهذا راجع إلى عدم وجود استثمارات فعلية من أجل استغلال الموقع التراثي، وأيضا لعدم توفر المرافق الضروررية التي يجب أن تتوفر في محيط المناطق السياحية على غرار الفنادق والمطاعم ووسائل النقل بكافة أنواعها.

5- نتائج الدراسة:

من خلال مجموعة المعطيات المتحصل عليها وبعد تحليلها يمكننا أن نستسنتج مايلي:

- تزخر الولايتين بمواقع تراثية جد هامة مما يؤهلها إلى إمكانية وصولها إلى أن تصبح وجهات سياحية بامتياز.

- تكتسب القصبة أو المواقع الأثرية بصفة عامة اهتماما كبيرا سواء من السياح أو الدولة (في قصبة بجاية الغلق من أجل الصيانة هو اهتمام بالحفاظ عليها) لارتباطها بالتاريخ وأيضا جماليتها وأصالتها.

- سياحة المواقع التراثية هي سياحة موسمية بدرجة كبيرة، في الغالب تعتمد على المناسبات والأعياد الوطنية والدينية.

- سياحة المواقع التراثية في الولايتين تفتقر إلى مجموعة العوامل المادية والبشرية مع انعدام التخطيط من أجل المساهمة التنمية السياحية المستدامة.

- سياحة المواقع الأثرية تحتاج إلى إطارات محترفة وجدية.

- الاتصال التراثي غير موجود، وإن وجد فإنه لا يقوم بالدور الذي يجب أن يتقمصه.

- سياحة القصبة في أغلبها لا تساهم في مجال التنمية السياحية.

- عدم وجود استغلال فعلي للمواقع التراثية أو في محيطها.

وبناءا على هاته النتائج فقد خلصنا إلى ما يلي:

- موقع القصبتين يؤهلهما لأن تكونا وجهتين سياحيتين ويمكن أن تساهما في التنمية السياحية بشكل كبير إن تم استغلال ذلك وتوفير كافة العوامل.

- الاهتمام بسياحة المواقع التراثية يجب أن يشمل كافة العوامل المساهمة في الترويج لها كوجهات سياحية مميزة.

- الاهتمام بموضوع الاتصال التراثي للمواقع التراثية.

- الاعتماد على الاتصال التراثي في مجال الترويج، والتثمين للمواقع التراثية من أجل الوصول إلى نتائج جد مرضية.

- الاعتماد في عملية الاتصال على عناصر بشرية مؤهلة ومحترفة من أجل تحقيق الأهداف.

- الاعتماد على التقنيات الحديثة للاتصال التراثي من أجل تحقيق النتائج المرجوة.

- التواصل مع الشركاء الاجتماعيين في مجال السياحة والتراث للعمل على النهوض بالسياحة التراثية.

- استغلال المواقع التراثية كبدائل للتنمية الاقتصادية من خلال الإعتماد على الاتصال التراثي في العمليات التي تشمل هذه المواقع كالتعريف، الترويج، التثمين.

6- قائمة المراجع:

1. بلعياشي, م & ,.سمعون, خ .(2021) .مساهمة شبكات التواصل الاجتماعي في تثمين التَّراث والسياحة الثقافية في الجزائر .*مجلة الواحات للبحوث والدراسات*.591-565 ,
2. رشيدة حازم. (ديسمبر 2018). دور الإعلام السياحي في التنمية السياحية في الجزائر. *مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية*، 103-113.
3. رقية بليلة. (2009). *جامع القصبة ببجاية-دراسة تاريخية أثرية*.
4. شهيناز صبيحي. (2019). التنمية السياحية المستدامة في مصر في ظل تحديات العولمة السياحة. *مجلة اقتصاديات شمال إفريقيا*، 75-98.
5. عبد الله كبار. (2023). السّاحة التراثّة ودورها فً تفعّل الاهتمام بالتراث الثقافً والمعالم. *مجلة العلوم الإسلامية والحضارة*، 348.
6. على خلاصي. (2007). *قصبة مدينة الجزائر* (المجلد 1). الجزائر، الجزائر: دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع.
7. فريد كورتل، و أمال كحيلة. (2013). التنمية السياحية في الدول العربية واقعها وآفاق تطويرها. *مجلة الاقتصاد والتنمية البشرية*، 31-47.
8. لزهر بعوط، و ناصر بوعزيز. (جوان 2021). دور المواقع الأثرية في تحقيق التنمية السياحية المستدامة. *مجلة العلوم الإنسانية لجامعة أم البواقي*، 216-234.
9. نوال قلاب ذبيح. (2017). سياسة الحفاظ على المدينة التاريخية في إطار التنمية المستدامة. *مجلة آفاق للعلوم*، 47-58.
10. bendebili, i., & merah, a. (2016). Communiquer sur l'authenticité d'un patrimoine architectural : le cas du

grand ksar de Temacine dans le Sud-Est algérien. *communiquer*, 9-23.

11. Davallon, J. (2006). *Le don du patrimoine : une approche communicationnelle de la patrimonialisation.* france: lavoisier.